

المجلد: 09/ العدد 01 جوان (2025)، ص.ص 277-285.

صراعات الزنوجة في الأدب المقارن

Conflicts of Negritude in Comparative Literature

باشا أحمد الأمين

Amindz73@gmail.com

المركز الجامعي - مغنية -

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي (من التأسيس إلى نهاية القرن العشرين) - جامعة تلمسان - (الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/04/09

تاريخ الاستلام: 2025/01/03

ملخص:

إنَّ الأصل في الأدب هو الافتتاح والحوار والإبداع بوصفه امتدادا لا صراعا مع الغير، ينطلق من مبدأ التجاوب والتواصل والاختلاف و قبول الآخر و ينتهي إلى التسامح و الاستفادة من الغير وافادته ، غير أنَّ أحكاما انتقاصية و تهميشية في حقِّ العرق الأسود، من قبل بعض أدباء الغرب و على رأسهم "فريدريش هيجل" في كتابه "فلسفة التاريخ"، دفعت إلى ظهور فكر جديد تحت مستم، "الزنوجة" ومن هذا المنطلق يتأسس مقالنا ليحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما هي أهم أسباب وعوامل ظهور تيار الزنوجة؟ وهل يمكن أن يكون للأدب المقارن دور في تقريب وجهات النظر بما يضمن التعايش تحت مظلة الإنسانية؟ بتعبير آخر: ما الذي يمكن للأدب المقارن أن يقدمه من أجل الابتعاد عن العرقية والإيديولوجيات الهدامة؟ ولعلَّ أبرز ما توصلنا إليه هو أنَّ الزنوجة بفضل تمثيلاتها البارزة، أدخلت عنصرا جديدا من التعبير الأدبي خصوصا في المسرحي منه، مما أضاف بُعدا عالميا لجوانب النصوص وأبعدتها عن القيود المحلية.

الكلمات مفتاحية: الأدب المقارن ، تيار الزنوجة ، الأدب المعاصر ، التمرکز العرقي ، الفكر الغربي.

Abstract:

The origin of literature is openness, dialogue and creativity as an extension of no conflict with others, based on the principle of responsiveness, communication, difference and acceptance of the other and ends in tolerance, benefit and benefit of others, but derogatory and marginalized provisions in the right to black race, by some West fathers and above them In his book The Philosophy of History, Friedrich Hegel prompted the emergence of a new thought under the name "Negro."

It is in this spirit that our article is founded to try to answer the following questions: What are the most important causes and factors for the emergence of the nigger stream? Can comparative literature play a role in bringing viewpoints closer together to ensure coexistence under the umbrella of humanity? In other words, what can comparative literature offer in order to move away from ethnicity and destructive ideologies? Perhaps the highlight is that Negro, thanks to its outstanding representations, introduced a new element of literary expression, especially in the theatre, which added a global dimension to the aspects of texts and kept them out of local constraints.

Keywords: Comparative literature, Negritude trend, adventurous literature, ethnocentrism, Western thought.

- مقدمة:

يطلق مصطلح "زنجي" على الأفراد ذوي البشرة السوداء، وفي سياق الأدب، يشير إلى السمات الأسلوبية والأدبية المميزة التي تميز أعمالهم، والتي سعوا من خلالها إلى تأكيد وجودهم في ظل القمع والاستعمار الذي واجهوه. يعرفها الرئيس الشاعر "ليوبولد سدار سنغور" بأنها - الزنوجة - مجموع القيم الثقافية في عالم الشعوب السوداء والتي يعبرون بها عن أوجه الحياة أعني مؤسسات ومعطيات هذه الشعوب، إذن الزنجية عند سنغور هي مجموعة من القيم الثقافية التي تميز الشعوب السوداء.

وكتب "إيمي سيزار" في كتابه "كراس العودة إلى البلد الأصل" *d'un retour Cahier au pays natal* "يقول "الزنوجة تعني ببساطة التواجد في عالم السود" أو "هي قبول الأسود لواقعه وتاريخه كما هو". إن مفهوم الزنجية كما طرحه "إيمي سيزار" يتطلب منا الاعتراف بأهمية الهوية السوداء. لقد سعت الكتابة الزنجية لتسليط الضوء على الوضع الهامشي الذي عاشه السود في تلك الفترات، حيث كان يتم النظر إليهم، حتى عام 1939، كأهم متوحشون وبدائيون. تلك الحقبة كانت مليئة بالتحديات، فلا بد من التوقف عند معاناتهم والاحترام العميق الذي يستحقونه. ولعل أبرز المفكرين والأدباء الذين ولدت على أيديهم حركة الزنوجة هم بصفة رئيسية "إيمي سيزار" من المارتنيك و"ليوبولد سنغور" من السنغال و"ليون داماس" من غيانا الفرنسية وكانت فرنسا هي محمد الحركة.

وكان قد صرح "إيمي سيزار" في إحدى حواراته بأنه يعدّ الزنوجة : " وسيلة للمقاومة ، و للرد على سلبات الاستيعاب ، بالإضافة إلى كونها خلقا جماعيا ، وثورة ضدّ الاستلاب الكلي"¹

و يشاطره الرأي واحد من أبرز الباحثين الذين سقروا مسيرتهم الفكرية للبحث في مجا الدراسات والآداب الإفريقية ، وهو " جاك شوفري" الذي يرى الزنوجة صوتا للمضطهدين يواجه كل أشكال الاضطهاد ، و يذهب مذهب هذين الأخيرين باحث ذو باع طويل في هذا المجال وهو : "ليون سان" الذي يرى في الزنوجة : "رفضاً للاستيعاب الثقافي و التبعية الكولونيالية" ، إلى جانب كونها " رفض هيمنة عرق على عرق و أمة على أمة "².

2. ظروف نشأة و ظهور تيار الزنوجة:

1.2. الظروف والنشأة :

إن أسباب وعوامل ظهور تيار الزنوجة تتعدد وتتداخل بشكل معقد، حيث يمكننا أن نلاحظ مجموعة من العناصر التي ساهمت في بروز هذا التيار المتميز. أولاً؛ يُعتبر الاستعمار والاستغلال الاقتصادي أحد الأسباب الجوهرية. فقد عانت الشعوب الأفريقية من ظلم كبير وتاريخ طويل من التبعية، مما أثار فيهم شعوراً قوياً بالهوية والانتاء. ثم يأتي التعبير الفني والثقافي، حيث أن الموسيقى، الشعر، والفن البصري أصبحت وسيلة للتعبير عن التجارب والمعاناة. وبفضل هذه الفنون، استطاع المجتمع الأسود أن يظهر قوته وجأله، ويستعيد ثقافته الغنية. هناك أيضاً الأبعاد الاجتماعية، حيث نشأ شعور بالوحدة والتضامن بين الأفراد السود، فتجلت الروابط بين الثقافة والتاريخ، مما ساهم في تشكيل هوية جماعية تعزّز بالزنوجة. إلى جانب ذلك، لا يمكننا تجاهل دور النخب المثقفة التي قادت هذا التيار، فالأفكار الثورية التي انطلقت من بلدان مثل الولايات المتحدة تعكس جهود المبدعين في الدفاع عن حقوقهم ونشر الوعي. أخيراً، نرى أن الظروف السياسية والعالمية كان لها تأثير كبير، فقد أدت الحركات الحقوقية إلى بروز المطالب بالعدالة والمساواة، مما جعل تيار الزنوجة جزءاً من النضال الأوسع ضد التمييز والعنصرية. بهذه الطريقة، تتجلى العوامل المختلفة التي أسهمت في ظهور هذا التيار، وكل منها يحمل في طياته قصة غنية ودروساً تاريخية تعكس قوة وعزم المجتمعات السوداء.

وقد كثر الحديث في أواخر القرن العشرين عن الزنوجة و الأدب الزنجي ، وإطلاق هذه التعبيرات لا يعني بالضرورة الأدب الإفريقي وحده ، بل أدب الزنوج عامة ، أفارقة كانوا أو انترعوا من أحضان القارة الإفريقية ، و ألقى بهم تجار الزيق في أمريكا الشمالية و الجنوبية ، حيث عرفت سنة 1915 هجرات كبيرة للزنوج من الجنوب إلى الشمال، فما يقارب المليون زنجي تركوا الحقول و الأرياف للالتحاق بالمدنية الأمريكية، فتشكلت مدن زنجية بأكملها مثل "هارلم" و "شيكاغو" التي أصبحت تضاهي كبريات مدن البيض .

وبدأت عندئذ تتشكل عقلية خاصة بالزواج يقودها فنانون و مثقفون يتبنوا رغبتهم في مجابهة الفكر التقليدي السائد على مدى قرون من الدّل و الاستعباد ، فأرادوا أن يجسّدوا هذا الرفض فتياً و أدبياً وعلمياً حتّى . ولعل ظهور النهضة الزنجية، التي يشار إليها غالباً باسم نهضة هارلم، كان إيذاناً ببداية هذا التحول. وتُعد هذه الحركة بمثابة إحياء وإيقاظ للثقافة الأمريكية الأفريقية، متأثرة بالتحولات الجيوسياسية التي حدثت قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الثانية. وقد استلزمت هذه التغييرات تطوراً فكرياً وثقافياً عميقاً، حيث أصبح حي هارلم ملاذاً للأمريكيين الأفارقة الذين يواجهون العنصرية والإقصاء والتمييز من المجتمع الأبيض، مما أجبرهم على التجمع في هذه المنطقة.³ وكانت سنة 1928 شاهدة على مولود جديد يحمل اسم " هكذا تكلم العتم" ل "جون برايس مارس" كتاب يدين إدانة مباشرة لتوازي الهوية الاستعمارية و الثقافة الفرنسية. حيث صار "جون برايس" بعدها الأب الروحي للكتاب الهائيتين الأوائل ، و قد شهدت السنة نفسها صدور رواية " بانجو" ل "كلود ماكي" انتقد فيها المجتمع الأمريكي الذي ينظر للزنجي نظرة انتقاص ، وحاول أن يوجّه الزواج إلى ضرورة التضامن فيما بينهم .⁴ كما شهدت سنة 1931 صدور العدد الأول من مجلة "Le Monde Noir" التي أسسها الدكتور "ساجو" و "الأخوات ناردال" ، حيث كانت المنبر الأول الذي يحتضن سود العالم بأكمله لمناقشة مشكلات مستقبلهم العرقي .⁵ وكان لها بالغ الأثر في صدور مجلات أخرى مثل "Légitime Défense" و "L'étudiant Noir" .

لقد لعبت هذه المنابر دوراً كبيراً في نشر الوعي بين الزنوج ، كما أذكت أفكار الانتلجانسيا الزنجية والأوروبية و علجت مواضيع استعادة الهوية ، ورفض قيم الرأسمالية و المسيحية البالية على حدّ تعبيرهم . ومهما كانت لغة الكتابة ، فلا شك أن هؤلاء تمّ عزلم و وصفهم بالزواج دون تفرقة بالنظر إلى أصلهم المشترك ، هذا الأخير الذي وحدهم من خلال ما حافظوا عليه من أدب محكيّ في شكل أساطير و أمثال وأغان، و أناشيد، وحكايات ... تتوارثها الأجيال لتعبّر عن ما مرّ بها من ظلم و اضطهاد و استعباد ، و ما تميّز به من تمييز و تحقير . ومن أعمال فرانز فانون عام 1961 كتاب بعنوان "المعدّون في الأرض" حوى مقالاً تحت مسمّى " حول الثقافة الوطنية"، توجّه فيه بالنقد المباشر للاستعمار الأوربي، الذي كان له الدور الرئيس في تخريب ماضى الدول المستعمرة وحاضرها معاً؛ وذلك بالاعتداء على الحقائق التاريخية ومحاوله تزييفها؛ فلم يكن رد الفعل من طرف تلك الدول سوى العودة إلى ثقافتهم الوطنية واستعادتها والتشبث بها "ويضرب فانون مثلاً بالحركة الإفريقية الشهيرة بـ "الزنجية" لأنّها لم تعتمد على النتاج المحليّ، أو الوطنيّ. لقد اتجهت، كما يظهر جلياً، نحو الجذور العرقية لتبنّي عليها هوية ثقافية فريدة"⁶، تسعى من خلالها لتجميع القيم الثقافية التي تعبر عن العالم الأسود. كما وصفها الرئيس السنغالي ليوبولد سنغور، فهي محاولة لإبراز تراث غني ومتعدد الأبعاد في سياق تاريخي وثقافي عميق.

2.2. مقتطفات من حياة المناضل و الأديب "إيمي سيزر Aimé Césaire":

"إيمي سيزر" (1913-2008) (Aime Césaire) الملقب بأب الزوجة وأيقونة الإنسانية ولد بجزر المارتنيك، شاعر وأستاذ، كان يسعى دائماً لربط ثقافة بلده الأم بأصولها البعيدة إفريقيا، رفض جميع المشاريع التي تدعو إلى دمج السود الفرنسيون أسس مع ليوبولد سيد سنغور، صحيفة الطالب الأسود في باريس 1934 وفي سنة 1941 أسس مجلة -مدارات- من أشهر كتبه خطاب عن الاستعمار 1950 الذي سلط فيه الضوء على العالقة بين النازية والعنصرية الاستعمارية، دفن في بلده الأم - المارتنيك-

يكشف الشاعر والسياسي المارتينيكي "إيمي سيزر" وصديقه الكوبي "ليون غوتراند داماس" عن الجزء المخفي من هويته، "الجزء الأسود"، ضحية التمايز والعزلة في المجتمع الاستعماري، عندما سطع نور صحيفة الطالب الأسود صاغ إيمي مصطلح " الزوجة " للمرة الأولى كردّ فعل على سياسة القمع الثقافي الذي اتخذه الاستعمار الفرنسي، وتبناه، فكان فكره يحمل مشروعاً يبنى على سياسة الرفض لكل ما يصدر عن الثقافة الفرنسية، وتقوية لتلك الثقافة المظلومة التي تشكل جزءاً من الذات وهويتها، بعد أن تمّ تغيبها بفعل عوامل عنصرية وأيديولوجية مُتعالية، يقول إيمي سيزر في هذا الصدد: "لماذا قلّت: الزوجة؟ لم أفلها لأتّى أوّمن بلون البشرة. لا، إنها ليست نيتي. وكان الجميع يعتقد أن هناك حضارة واحدة فقط، وهي حضارة الأوروبيين أما الحضارات الأخرى فكلها من أصل بربري، وبالطبع، هناك التفكير الجماعي الذي يزيّف الحقائق أيضاً، بل وحتى الزواج أنفسهم".⁷

انطلق "إيمي سيزار" من عالم الأدب والشعر حيث كان ذا أفكار كنجوم تتراعى في سماء الفكر ، ليتوجه فيما بعد إلى ميدان السياسة محملاً بأفكاره الثيرة ورغبة ملحة في إحداث تغيير ، لقد كان صوتاً قوياً يدافع عن الهوية الزنجية ويدعو إلى أنسانية شاملة . تسعى لتحقيق السلام وتوطيد أواصر المصالحة بين الثقافات المختلفة ، إن إبداعاته سواء في الشعر أو المسرح ، لم تترك بصمتها فقط في المجتمعات الغربية، بل انطلقت تتردد أداؤها في زوايا نائية من العالم ، تلهم الأرواح وترتقي بالعقول ، كم كانت مثيرة تلك الرحلة التي انتقل فيها من كاتب مبدع إلى سياسي محنك ، يحمل في قلبه شغفا لا يضاهي من أجل العدالة والتغيير.

واستفاد من وضعه العائلي، إذ كان جده أول مدرس أسود في المارتينيك، وكانت جدته تعرف القراءة والكتابة، وتلك ميزة نادرة لامرأة من هذا الوسط في تلك الحقبة من تاريخ المارتينيك. وبعد أن نال شهادة البكالوريا حصل على منحة دراسية أتاحت له مغادرة الجزيرة نحو فرنسا التي سافر إليها وهو مفعم بالآمال العريضة. وقد كان هذا الحدث بمنزلة تحول جذري في حياة سيزار. غير أن «تيسة» برتجله له ببس سديا إلى إلهة مقتت شعر في الأوساط الفرنسية بالإقصاء والتمييز العنصري. روغانس راميسة تقفر "دوسلاً بلالطاً" لمعجس سسأ بي ورا لا ركفلاً مذه به بايكيو. وقد عبر سيزار في كتاباته الأولى في المجلة: «يرفض الزواج كل أشكال الاستعباد والتمثل، لأنهم تواقون إلى التحرر». كانت هذه بداية معركة سيزار الضروس ضد الإمبريالية الغربية، حيث ناضل لفكفكة الاستعمار وتحرير الشعوب الإفريقية واضفاء القيمة على ثقافتهم الأصلية. ودافع عن مفهوم السواد باعتباره سمة مميزة للهوية السوداء، وهي فكرة عن الإنسانية جعلها ضمن مجموعته الشعرية عام 1938، بعنوان "دفتر العودة إلى الوطن الأم" لقد أبدع في نشر مجموعة من الأعمال الشعرية الالافته في عالم الأدب، منها ديوان "الجسد الضائع" و"شمس العنق المقطوع". الحقيقة أن هذه الأعمال نالت إعجاب أندري بريتون، مؤسس السريالية، لما تحمله من قوة استحضار لعالم الشعوب المقهورة، تلك التي تناضل بشجاعة للخروج من قيود أفكار ورؤى العالم الغربي. عالم غالباً ما يحاصر الآخر ويمنعه من التعبير عن هويته الحقيقة كما يجب أن تكون. في هذه الكلمات، تجد تعبيراً عن الآلام وآمال مستضعفين يكتشفون ذواتهم في زمن يسعى فيه العديد لإخفاء معاناتهم..

3. الزنوجة والهوية و حرب المركز العرقى :

تدعو الزنوجة من خلال المبادئ التي قامت عليها إلى التشبث بالأصول الأفريقية، و ترسخ ثقافة الأصالة ، كما تسعى في الوقت ذاته إلى تحسين أوضاع الأفارقة و مستقبلهم ، وهذا ما يراه "رينيه دوباستر" الذي يرى أن: "الزنوجة علمية ثقافية ، جعلت مثقفي إفريقيا و الأمريكيتين يعون صلاحية وأصالة الثقافات الزنجية الإفريقية ، و القيمة الجمالية للعرق الأسود " ⁸.

يؤكد هذا الرأي أن الزنوجة وعي بأصالة الثقافات الأفريقية ، وهي عقيدة راسخة يوظفها الإفريقي المعاصر في التصدي لخلفات الهيمنة الغربية .

و كان " سيزر " قد أضاف لها بُعداً آخر حينما اعتبر الزنوجة أسلوب حياة ، وطريقاً لفهم الوجود كما جاء في خطابه الموسوم ب: "خطاب حول الزنوجة " ؛ حيث يرى أن : "الزنوجة ليست فلسفة، ليست ميتافيزيقاً، إنها إدراك رتناً للكون ، إنها طريقة لعيش التاريخ في التاريخ ، تاريخ جماعة تظهر تجربتها المتفردة" ⁹. أصبح " إيمي سيزار " من الشخصيات التي جسدت أعمالهم ما يسمى ب " الخطاب المضاد " ، و نلمس ذلك من خلال خطاباته السياسية مثل : " خطاب حول الاستعمار " و " خطاب حول الزنوجة " اللذان يدين فيها الاستعمار ، و يدافع عن الشعوب المضطهدة في العالم أجمع و بالخصوص في إفريقيا ، وقد عمل على تشكيل خطاب خاص بالنحوي يتحدى فيه الخطابات الكولونيالية كما فعل في مسرحية " مأساة الملك كريستوف " .

يقول في إحدى مشاهد المسرحية : " لقد كانت أساؤنا في السابق تسرق منا كما كان يسرق منا فخارنا ، أقول كانت تسرق منا ، ما اسم ييار Pierre ، و بول Paul ، و جاك ، و توسان ، أنا شخصياً ملككم . . آتخسون بما يعانیه رجل بسبب أنه لا يدري بأي اسم يدعى ، ولا لأي شيء يدعوه اسمه ؟ " ¹⁰.

هنا يتجلى بوضوح مدى حرص "سيزار" واهتمامه العميق بهوية الزوج، فهو مرآة تعكس غيرة قوية على التراث والثقافة المهددة بالانقراض نتيجة سياسات الاستعمار الجائرة. لقد استرعى بمهارة شخصية البطل "هنري كريستوف"، ليقدّم خطاباً مضاداً يواجه تلك الهيمنة الثقافية، مستخدماً اسم "توسان" كإشارة رمزية إلى "توسان لوفرتير"، القائد الشجاع لثورة الزوج. وفي ذلك، ينتقد ما يُعرف بـ"فانون" بالاستلاب والاعتزاب الذي يطال الإنسان على مستويات نفسية وروحية وفكرية، مما يحسد الصراع المستمر للحفاظ على الهوية.

إنّ ما نجده اليوم من أدب الزوج يتمّ بالدرجة الأولى عن طريقة تفكير الإنسان الإفريقي و رؤيته للعالم، وكذا تفاعله مع بيئته وحفاظه على هويته المتجسدة في الموروث الأدبي، الأمر الذي عسّر على الأدباء السود الذين اختاروا لغات أوروبية لكتاباتهم، فأدب الزوجة عبّر بعمق وصدق عن الهوية التّجنّية فانتبه له كبار النّقاد على غرار: بروتون، وجون فاجنر، و جون بول سارتر وغيرهم أمّا أفريقيا المكتنزة بإرثها الحضاري فلم تسلم من أطماع الأوروبيين الذين لم يروا غيرهم من الأجناس الأخرى فراحوا يعملون الآلة العسكرية والفكرية التبشيرية، كي يحتاحوا القارة السمراء، ولإضفاء نوع من الشرعية للكونولونية الثقافية، قامت مجموعة من العلماء التجريبيين كـ"داروين" و"إيرنست هيكل" ببعض التجارب ليشبّوا أحياناً أن الرجل الأبيض يتفوق على باقي الأمم، بينما تشير الكتابات مثل "نزول الإنسان" لداروين إلى أن العرق المتحضر، أي الرجل الأبيض، قد يسعى لطمس وجود "الإنسان الهمجى" **The Descent Man** في كل أرجاء المعمورة. بالنسبة لداروين، كان هناك اختلاف ملحوظ بين الأجناس البشرية، حيث اعتبر بعضها متفوقاً على الآخر. أما "يوفال نوح هراري" فقد أشار إلى أن الفرق بين الأجناس وتفضيل البيض، بالإضافة إلى الحاجة إلى صقل العرق المتفوق والدفاع عنه، يمثل آراءً بارزة بين شريحة كبيرة من المثقفين في أرقى الجامعات الغربية. إنها أفكار قد تبدو، من وجهة نظر البعض، مثيرة للجدل، بل مزعجة، ولكنها تعكس واقعاً تاريخياً معقداً يمزج بين العلم والسياسة والثقافة.

استخدم الباحثون أساليب علمية مختلفة في دراساتهم، ومع الأسف، كانت بعض هذه الدراسات تحمل ادعاءات مثيرة للجدل. حيث زعموا أن الأشخاص ذوي البشرة البيضاء يتفوقون في الذكاء والأخلاق على الأفارقة والهنود. هذا النوع من المزاعم يثير الكثير من التساؤلات ويعكس تحيزات عميقة تسكن أذهان الناس وتؤثر في فهمهم للتنوع البشري.

غير أنّ أصحاب العقول الراجحة من مفكرين و مثقفين و أدباء أفارقة لم يقفوا صامتين أمام هذا المدّ الأوروبي، و إنما أنكروا تلك الممارسات الشنيعة، وعملوا على المحافظة على الهوية التّجنّية و حمايتها من التّهجين و التشتيت. وها هو سيزار يُنشد تلك الأرض المنكوبة بأصابع الكولونيلية:

«أيها الضوء الصديق،

أيها النبع الضوئي الصافي،

هؤلاء الذين لم يخترعوا البارود والبوصلة،

هؤلاء الذين لم يروّضوا البخار أو الكهرباء،

هؤلاء الذين لم يستكشفوا البحار أو السماء،

لكن هؤلاء الذين دونهم لن تكون الأرض التّسنام¹¹»

ورغم حملات التّجريح للأفارقة نحو جنوب الولايات المتحدة الأمريكية بعد اكتشافها، و نزوح العديد من العائلات الأوروبية إلى إفريقيا، جابه القلم التّجنّج ذلك، و عبّر عن رفضه بكلّ الوسائل، وخصوصاً في أدب المسرح، إذ برز كتاب كثر على رأسهم يعتبر "إيمي سيزير" أحد أبرز وجوه تيار «التّجنّج» في الشعر الفرنكوفوني ورمز الحركة المناهضة للاستعمار.

إنّ تبلور فكرة الزّوجة عاد بالنفع الكبير على الشّعوب المستعمرة، وعلى عرق بأكمله منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث تشكّل الوعي الجماعي الذي يدافع عن هوية الإنسان التّجنّج، ممّا جعل الزّوجة تصبح حركة فكرية و سياسية وأدبية تتغّى بالقيم التّجنّية، و تدعو إلى العودة إلى الأصول الأفريقية من خلال مختلف الوسائل التعبيرية من موسيقى إلى مسرح و سينما، ناهيك عن الأدب الذي شكّل وسيلة بارزة للتعبير عن الواقع التّجنّجي.

لقد تمكنت الزوجة من صنع ذاتها ، و من أن " تصبح عملية ثقافية جعلت مثقفي أفريقيا والأمريكيين يعون بمدى صلاحية الثقافات الزوجية الأفريقية و أصالتها، والقيمة الجمالية للعرق الأسود"¹²، إضافة إلى أنها صارت صوتا للمقموعين يدافع و يتحدى مختلف أشكال الاضطهاد ، اعتبرها " سيزر " وسيلة للمقاومة و للرد على سلبيات الاستيعاب إضافة إلى كونها خلقا جماعيا ، وثورة ضد الاستلاب الكلي"¹³.

و ذات التوجه نجده عند المفكر السنغالي "سنغور" رائد من رواد الزوجة الذي يرى في الزوجة سلاحا يستعمل لتفكيك الاستعمار¹⁴ ، و يقصد بذلك سلاح الفكر الذي يصنع الوعي الجماعي بضرورة استعادة الهوية .

إن رواد الزوجة قد امتلكوا قناعة مفادها وجود فوراق واقعية بين الجنسين الأبيض والأسود في قضية التعامل مع مستجدات و فهمها ، وأن أدب الزوجة ستكون له أصول نابعة من الحساسية الزوجية الخاصة للإحساس بالإيقاع بالأسطورة والطبيعة والحياة العاطفية وتضامن روح الجماعة. "لذلك فقد عمدوا إلى تمجيد الماضي الإفريقي ويمتلكون الحنين إلى الجمال والتناغم والانسجام في المجتمع الإفريقي لأن هذا الاعتقاد ألهم مشاعر النقد تجاه مفهوم الزوجة، على وفق ما انطلقوا منه واعتمادهم على فطرة الفرد والمجتمع الإفريقي الذي يقف على النقيض من العقل والمنطق الهيليني الغربي ومن ابرز منتقديهم هو المفكر الزوجي (فرانز فانون) صاحب كتاب (معذبو الأرض) إضافة إلى الكاتب المسرحي الإفريقي (وول سوينكا) الذي لم يتردد في توجيه انتقاداته لهم في مناسبات عدة حيث انتقدهم في أكثر من مناسبة"¹⁵

تميزت ثقافة الزوج بالشفافية أكثر من الكتابة، حيث اعتبرت وسيلة مهمة لنقل العادات والتقاليد والتاريخ عبر الأجيال. فالحديث والرواية كانتا الوسيلة التقليدية لنقل المعرفة والتراث بين أفراد المجتمع، ولذلك كان الانتقال من الشفافية إلى الكتابة يمثل تحدياً لهذه الثقافة. والأدب المسرحي يعتبر مثلاً على هذا النقل، حيث يكتب النص أولاً قبل أن يتم تجسيده على المسرح، فتصبح العروض المسرحية تجسيدا حياً لعادات وتقاليد الزوج وتراثهم. حيث تحمل في طياتها عبق الهوية وحرارة الحرية. إن هذا النص ليس مجرد كلمات متراسة، بل هو جسر يربط بين الحضارات والإنسانية، يتيح لنا التواصل والاندماج. وعندما نتحدث عن الكتابة في سياق المسرح، فإننا نفوس في أعماق فكر الزوجة، الذي انبثق أساساً من الشعر ليطوف بنا في عوالم غنية بالأدب والفن الأفرو أمريكي. هنا، الكتابة ليست مجرد تسطير على الورق، بل هي فعل نابض، ووجود حي، وكنونة تعبر عن هوية عميقة وحقيقية.¹⁶ وبالتأكيد، قاتلت الزوجية بكل جهدها للحفاظ على الهوية الإفريقية من خلال الإبداع الفني، والتي انعكست في المسرح والنصوص المسرحية والأدبية بشكل عام. على سبيل المثال، في مسرحية "أوغست وبلسن" (مجيء جوكزر وذهابه) إذ تناولت قضية الزوج اللذين حاولوا بناء حياة لأنفسهم في أمريكا، ولكن واجهوا تحدياً كبيراً بسبب التمييز العنصري بين الأبيض والأسود. ومن خلال مسرحية أخرى، "ليانو"، ركزت على جدل بين عائلتين حول آلة موسيقية قديمة مزينة بنقوش إفريقية، تمثل رمزاً للهوية الثقافية الإفريقية. هذه المسرحيات تعكس تمسك الزوج بأصالتهم الثقافية وروحهم الإفريقية.¹⁷

من بين الكتاب الذين دعموا فكرة تمسك الزوجي بهويته وجدنا "توني مورسون" التي بجانب كونها مفكرة وكاتبة وأديبة، حازت على جائزة نوبل للآداب عام 1993. لقد كتبت رواية "اللهو في العمة" حيث تناول صناعة أفريقيا وثقافة الزوج من خلال عيون غرب أمريكي يجدد هويتهم وحياتهم وأعمالهم المسرحية مثل "إميت 1986". تقدم مورسون شخصية زوجية سوداء ترفض القيود والتحكم وتطالب بحرية المرأة وحققها اجتماعي بجانب الرجل دون تمييز أو تهميش.¹⁸

تتمتع الثقافة الأفروأمريكية في الجنوب الأمريكي بوحدة من أكثر الأرضيات الخصبة، نتيجة لتاريخ حضاري غني مليء بالتنوع العرقي والثقافي والديني والاجتماعي. يعتبر هذا التنوع خلاصة تفاعل متبادل بين الثقافات الأفريقية والبيئة الأوروبية السكانية في أمريكا. كما أدى إلى كم من المواضيع الهائلة التي في جعلتهم ، ويعتبر استخدام النص الأفروأمريكي في الأدب له تأثير عميق في تنوع أساليب الكتابة والأفكار التي تعبر عنها. هذا الاتزان بين الثقافات تمثل جوهر الدراما العرقية التي أصبحت معروفة في جميع أنحاء العالم، والتي تستكشف الحياة الاجتماعية والقيم والتقاليد الفريدة لسكان أفريقيا.¹⁹

وعلى الرغم من كثرة التمثيلات السياسية والثقافية في النص الزنجي، إلا أن الكتاب الزوج كانوا يحترمون ثقافات الآخرين بشكل كامل، على عكس غيرهم الذين يحاولون تهيمش ثقافات أخرى. كان الكتاب يدركون أهمية التنوع الثقافي وكانوا يرون أن الزوجة يجب أن تشارك في طريقة كتابة النصوص المسرحية.

تعرضت الهوية الثقافية للتمزق والتشتت، وكانت أحد أهم الأهداف للكتاب الزوج وكتاب النص المسرحي هو استعادة الهوية لتلك الهوية والحفاظ عليها. وهذا يتماشى مع مسعى الكتاب الإفريقيين داخل أفريقيا بمحافظتهم على ثقافتهم. وتعتبر مسرحيات "ايثولفوجارد" الجنوب أفريقي مثلاً واضحاً على ذلك، مثل مسرحية "يوم جمعة المزعج" ومسرحية "فان جوجو" ومسرحية "الجزيرة".²⁰

ظلّ تيار الزوجة حضناً مهمة للإبداع الفكري الزنجي لفترة طويلة، وقد كان له الدور البارز في مقاومة الاستعمار والتسلط، كما حرص على احترام شخصية السود في جميع أنحاء العالم، ليس فقط في أمريكا. هذه الظاهرة الإبداعية دعمت بشكل كبير النصوص المسرحية الزنجية، حيث تجلّى التحدي للفكر الاستعماري بشكلين متماثلين: الأول من خلال تمثيل وانعكاس الزوجة في النصوص الزنجية الأمريكية كمواجهة وتحدي للفكر الأبيض والغربي، والثاني عندما يشير إلى ضرورة عدم تفرد مركزية العالم بل التعايش السلمي وقبول الآخر بغض النظر عن لونه أو عرقه أو ثقافته. هذا أيضاً يعكس محاولة لتقديم تحدي لسلطة الرجل الأبيض الذي لجأ للعجز أمام غياب السود، حيث يُظهر أن الحياة تتجلى بألوان متعددة ولا تعتمد على لون واحد.

خاتمة:

ختاماً لهذا البحث نقول: إنّ الزوجة تمثل أقصى درجة وصل إليها الزوج في التغني بالذات و القيم الزنجية والتقاليد الإفريقية، و كان هذا نتيجة صحوّة ثقافية أدّت إلى بلورة هذا الوعي بالكيان والذات الزنجيين. وقد أدّت هذه الصّوحة على مراحل، نطلق عليها تسمية "تراكمات" شكّلت لنا هذا المفهوم، ولا يختلف اثنان على التسليم بوعي الفرد الزنجي بأوضاعه السيئة ومحاولته إثبات هويته و التضحية من أجل إظهار ذاته، و على دور الأدباء و المفكرين في تبني هذه القضية التي تحوّلت إلى قضية عالمية بعد سنوات من التّضال.

نتائج البحث:

- 1- الزوجة تمثل تياراً شاملاً ينغمس في أعماق الآداب والفنون، بفضل قدرتها الرائعة على تعزيز وإثراء الكينونة الزنجية.
- 2- عبر الكتاب والكتابات الزوج بشكل واضح عن تمسكهم العميق بهويتهم الإفريقية، رافضين بشجاعة كل أوجه العنصرية التي تحاول النيل منهم.
- 3- استطاعت هذه الحركة أن تبرز مركزية الهيمنة البيضاء، وتفند تلك الفكرة القائلة التي تهتمش وجود الزوج كأشخاص أدواتية.
- 4- الرجل الزنجي والمرأة الزنجية يملكان من الصفات والقدرات ما يجعلها عناصر فعالة ومؤثرة، ولذا فإن أي محاولة لإقصائها تعني بالضرورة تعويق الحياة وتصفية ألوانها المتنوعة.
- 5- سعت الزوجة بعزم لرصد مكامن الخلل في المجتمع، ولتقديم رؤية إصلاحية واضحة، وهو ما تجلّى بأبهى صور في الأعمال الأدبية المتنوعة.
- 6- لم يغفل أي كاتب زنجي، سواء كان رجلاً أم امرأة، عن إبداء أهمية الفكر الزنجي في اتساعه وتعدد جوانبه ضمن الحياة الفكرية والإنسانية والكونية.
- 7- يملك الكاتب الزنجي محارة بارعة في رسم النصوص بحرفية لا تضاهى، بفضل مساحة الثقافة الواسعة التي أحاطت به، ووجود تيارات ثقافية متنوعة أثرت في فكره وكتابته.
- 8- بفضل تمثيلاتها البارزة، أدخلت الزوجة عنصراً جديداً من التعبير في المسرحيات، مما أضاف بعداً عالمياً لجوانب النصوص وأبعدتها عن القيود المحلية.

الاقتراحات:

- 1- تعزيز الأفكار الإنسانية المستمدة من معاناة الشعوب المظلومة التي لا تزال تعاني من وطأة الاستعمار، وإدخال هذه القضايا في أبحاث الطلاب والدراسات الأكاديمية. فهل من الممكن أن نرفع الستار عن معاناتهم ونقدم قصصهم للعالم بصدق؟
- 2- تكثيف الجهود لتنظيم ندوات ومحاضرات ينظمها أساتذة الفنون المسرحية، موجّهة بالأساس للطلاب في مراحلهم الدراسية الأولى. الهدف هنا هو تسليط الأضواء على ثقافات أفريقيا وغيرها من البلدان التي تضاءلت تحت وطأة الهيمنة الثقافية الأوروبية والأمريكية، لنستعيد جزءاً من التاريخ الذي تم نسيانه.

4. الهوامش والإحالات:

- ¹ Europe: Magazine littéraire, L'aliénation antillaise (Henri Bangou), p14
 - ² Jacques Chevrier, La négritude, Editions Nathan Université, p94.
 - ³ Mango Beti et Odile Tobner, Dictionnaire de la négritude, édition L'Harmattan, Paris 1989, p126.
 - ⁴ Voire: Jacques Chevrier, Litteratures Francophones d'Afrique noire, OP cit, p48.
 - ⁵ Iyay Kimoni : Destin de la négro-africaine ou problématique d'une culture, Presses Universitaires de Zaïre, p33
 - ⁶ دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 4، 2005، ص 160
 - ⁷ حوارات بين الشرق والغرب، مدني قصري: مطبعة السفير، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 71
 - ⁸ مسرحية "مأساة الملك كريستوف"، إيمي سيزار، ترجمة: د / أحمد منور، دار الساحل للنشر و توزيع الكتاب، الجزائر، 2009، ص71
 - ⁹ المرجع نفسه ص71
 - ¹⁰ المرجع السابق ص 71
 - ¹¹ إيمي سيزار: كراس العودة إلى الوطن، ترجمة: جمال الجلاصي، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة 2018، ص. 149.
 - ¹² René Depestre, Bonjour et adieu à la négritude, Editions Robert Laffont, S.A, Paris, 1980, p50.
 - ¹³ Henri Bangou : L'aliénation antillaise, Europe Magazine, OP cit ; 14.
 - ¹⁴ Voire : Léopold-Sédar Senghor: Négritude, arabisme, francité, Editions Dar Alkitab Allubnani, Beyrouth, 1967, p05
 - ¹⁵ مذكرات سجين، وول سونيك، تر: نسيم مجلي، ط1، (القاهرة: مركز القومي للترجمة والنشر، 2013)، ص 7.
 - ¹⁶ ينظر: المأثورات الشفاهية، يان فانسينيا، تر: أحمد مرسى، ط2، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، 1990)، ص 224-225، بتصرف
 - ¹⁷ "مسرح الزوج في أمريكا"، أنيس فهي، مجلة العربي، العدد 30 (الكويت: وزارة الإعلام، 2003)، ص 37-38.
 - ¹⁸ نساء في الأدب، علي عبد الأمير صالح، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2011)، ص 50.
 - ¹⁹ ينظر: جماليات الرفض في مسرح أمريكا اللاتينية، طلعت شاهين، ط1، (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2003)، ص 18.
 - ²⁰ ينظر: نصوص من المسرح الإفريقي، إيثولفور جارد، ترجمة: هبة محمد نبيل، ط1، (مصر: المجلس الأعلى للآثار، 2004)، ص 5-6.
- 5. المصادر والمراجع:**
1. إيمي سيزار: كراس العودة إلى الوطن، ترجمة: جمال الجلاصي، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة
 2. جماليات الرفض في مسرح أمريكا اللاتينية، طلعت شاهين، ط1، (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2003)
 3. دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 4، 2005، ص 160

4. المأثورات الشفاهية، يان فانسينيا، تر: أحمد مرسي، ط2، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، 1990)
5. مذكرات سبعين، وول سونيكا، تر: نسيم مجلي، ط1، (القاهرة: مركز القومي للترجمة والنشر، 2013)، 2018
6. مسرح الزواج في أمريكا، أنيس فهمي، مجلة العربي، العدد 30 (الكويت: وزارة الإعلام، 2003)
7. مسرحية "مأساة الملك كريستوف"، إيمي سيزار، ترجمة: د / أحمد منقور، دار الساحل للنشر و توزيع الكتاب، الجزائر، 2009. حوارات بين الشرق والغرب، مدني قصري:، مطبعة السفير، عمان، الأردن، ط1، 2008.
8. نساء في الأدب، علي عبد الأمير صالح، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2011)
9. نصوص من المسرح الافريقي، ايثولفور جارد، ترجمة: هبة محمد نبيل، ط1، (مصر: المجلس الأعلى للآثار، 2004).

المصادر الأجنبية :

1. Europe: Magazine littéraire, L'aliénation antillaise (Henri Bangou)
2. Henri Bangou : L'aliénation antillaise, Europe Magazine.
3. Iyay Kimoni : Destin de la négro-africaine ou problématique d'une culture, Presses Universitaires de Zaïre.
4. Jacques Chevrier, La négritude, Editions Nathan Université.
5. Jacques Chevrier, Littératures Francophones d'afrique noire.
6. Léopold-Sédar Senghor: Négritude, arabisme, francité, Editions Dar Alkitab Allubnani, Beyrouth, 1967.
7. Mango Beti et Odile Tobner , Dictionnaire de le négritude, édition L'Harmattan, Paris 1989.
8. René Depestre, Bonjour et adieu a la négritude, Editions Robert Laffont, S.A, Paris, 1980 ,p50.